Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كأمواج البحر العجاج وتهمس حيناً همساً عجيباً كأنما هو منطلق من سحيق الذراري ومبهم الآمال القصوى ؟

قال فكتور هوغو إن الكلمة كائن حي[1] وقد تكون خالقاً ساعة تجعل المخيلة ترى ما لا يرى ، وتنظم القرطاس أفقاً مفعماً بالكائنات الجميلة ، وتصبح سحراً يصيّر الغائب حاضراً والعدم وجوداً .

إنّ للإفصاح عن الفكر أساليب جمة ولكن لا يصلح للكاتب الواحد إلا أسلوب واحد ، وهو الذي يتفق مع ذاتيته . كلنا عالم ذلك . وكلنا باحث عن الطريقة التي ... فأجارك الله ، يا أيها الباحث ، من الطريقة التي ... إنك لتهوي قبل الوصول إليها في دركات التصنع والتكلف والتعمل ، وتتيه في فيافي الخلو والتقعر والجفاف . وإذا حاولت النهوض من الدركات أو العودة من الفيافي تعثرت قدماك وقلمك بذيول الزوائد والحواشي الجاهزة بين المتداولات كالحلوى على أطباق حلواني العيد . أو داهمك مرض الاختصار الجاف فيشعر قارئك الشقي بأنه حُكم عليه بسفّ التبن لجريمة مجهولة منه ومن البشر أجمعين .

إن افلاطون الذي اشتهر ببلاغته اشتهاره بفلسفته ظلّ ينسخ كتابه « الجمهورية » إلى عمر الثمانين ليزيده تحسيناً وإصلاحاً . ذلك لأن الكتابة التي يراها الكثيرون مسألة هينة أكثر الفنون دقة وعسراً . ولا أظن اكتشاف القطب أصعب على الرحالة من اكتشاف الأسلوب (هذا القطب الآخر) على الكاتب الذي عنده شيء يقوله لأن نفسه تفيض به وتحثّه على إعلانه . كلمات النفس حركات خفيفة لطيفة ، فكيف يتيسر نقل هذه الخفّة واللطافة بالكلمات البشرية الكثيفة ؟ وكيف تتبع أداة القلم خطوات النفس الوثّابة الكثيرة الإهواء في تموّجها وتحنّيها المباغت من الفرح إلى الحزن ومن التحنان المذيب إلى النقمة البركانية ؟ إن ذلك لسر تملّص من القواعد والنصوص

(١) «Car le mot, qu'on le sache, est un être vivant» Victor Hugo (les Contemplations).